الفرق بين المعجزة و السحر

<"xml encoding="UTF-8?>

من الأمور التي يتوجب بحثها هو تحديد الفرق بين المعجزة و السحر، فقد يتبادر للذهن ان الساحر يأتي بأعمال خارقة يعجز عن القيام بها غيره فما هو الفرق بين السحر و المعجزة وما هو التفاوت بين النبي و الساحر؟

للإجابة عن هذا التساؤل نحدّد وجه الاختلاف بين الأمرين:

ان السحر لا يملك رصيداً من الحقيقة و عمل الساحر ينصبّ فقط في الهيمنة علي الحواس والذهن فتبدو الأوهام حقائق، و هذا ما يتجلّى واضحاً في قصّة سيّدنا موسى مع سحرة فرعون، فلقد ألقي السحرة حبالهم و عصيهم و جاءوا بسحرٍ عظيم على حدّ تعبير القرآن الكريم فبدت تلك الحبال و العصي لمن يراها أفاعي تسعى و تتلوي. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك فالسحر يؤثر على الحواس فقط، و لذا قال القرآن الكريم: ﴿ ... فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ 1.

﴿ ... فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ 2.

ويعبر القرآن الكريم عن السحر بأنّه مجرّد مكائد وأوهام و لاحقيقة لما يفعلونه، لذا أمرالله عزوجل سيّدنا موسى (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ 3.

والسحرة كانوا أوّل من أدرک حقيقة ماقام به موسى (عليه السلام) ولهذا اهتزوا بشدّة وآمنوا بالله لواحد القهّار وهووا ساجدين لربّ موسى و هارون، و لم تفلح تهديدات فرعون عن ثنيهم رغم آلام التعذيب الرهبية.

وخلاصة القول ان المعجزة تتدخل في تكوين الأشياء ذاتها، فعيسى (عليه السلام) كان يحيي الموتي و يبرئ الأكمه، كما خرجت أمام الملأ من ثمود ناقة من قلب الصخور ناقة حقيقية كانت تدرّ اللبن الوفير فيما يبقي السحر محصوراً في دائرة ضيّقة من الأوهام والأباطيل.

ان الساحر يقوم بسلسلة من الأعمال المبهمة التي لاغنى عنها من أجل أن يؤثر سحره في الناس، بينما المعجزة تحدث فجأه بمجرّد الإرادة و يتكفل الغيب في تنفيذها انتصاراً ًللنبي و تعزيراً ً لموفقه.

ان النصر حليف المعجزات، بالمعجزاة ظاهرة لا تقهر، لأنّها تستقي من نبع القدرة المطلقة، بينما السحر يبقى فناً ً من الفنون على مهارة الساحر الذي قد يأتي من يفوقه دائماً.كما غلب موسى (عليه السلام) سحرة فرعون و غلب الامام الصادق (عليه السلام) سحرة المنصور.

ان السحر يبقي في دائرة محدودة فلا يمكن للساحر أن يقوم بكل ما يطلب منه، فيما تبقى المعجزة تتمتع بدائرة أوسع بكثير. يبقى السحر جزءً ً من قانون الطبيعة وفناً ً من الفنون التي يمكن اتقانها لمن يريد ولا علاقة له بالغيب و السماء والله، اما المعجزات فأمر يختلف تماماً ً انّه لايمتّ الي قانون الطبيعة بصلة لامن قريب ولا من بعيد.

الاعجاز وما يقوم به المرتاضون

نقرأ أحياناً ً في الصحف و المجلات و في الكتب أو نسمع عن أناس يقومون بأعمال خارقة لا يمكن لغيرهم أن يقوموا بها ؛ وقد سبقت الإشارة الي بعضها.فما هو الفرق بين ما يقومون به من أعمال خارقة و بين المعجزات؟

لتحديد الفرق بين الظاهر تين نشير الي ان هؤلاء الأفراد الذين يقومون بتلك الأعمال يخضعون أنفسهم لسلسلة من التمارين النفسية العنيفة تنطوي على تعذيب شديد للجسد و الحرمان من اللذائذ الي أن يحصلوا على تلك القوّة الخفية بينما يقوم الرسول أو الإمام بالمعجزة دون الحاجة الى كل ذلك العذاب بل قد يقوم به و هو في فترة الرضاعة كما حصل ذلک لدي سيّدنا عيسى (عليه السلام) إذ تكلّم في المهد.

الفرق الآخران دائرة المرتاضين تبقي محدودة دائماً و تقصير علي بعض الأعمال و في مناسبات محدودة زماناً ً فيماتتحرک المعجزة في دائرة كبيرة و واسعة جداً ً من حيث الزمان والمكان.

يتقي الارتياض هو الآخر فناً و طريقة ممكنة لمن يشاء لا علاقة لها بالايمان بالله، بينما تبقي المعجزة كما قلنا خارج نطاق الحقول العلمية و الظواهر الطبيعية تماماً.

المعجزة و الكرامة

هناك من الامور الخارقة مايتخذ اسماً ً آخر هو الكرامة، و الكرامة لطف من الله عزوجل يخصّ به بعض عباده، و قد أكّد القرآن وجودها في آيات عديدة كما نجد ذلک لدي سيّدة النساء مريم ابنة عمران عليها السلام: ﴿ ... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هُذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... ﴾ 4.

فقد جاء في التفاسير و الروايات انّه كان يجد عندها فاكهة الصيف في فصل الشتاء وفاكهة الشتاء في فصل الصيف، و هناك في التاريخ الإسلامي روايات تخبر عم كرامات عديدة لبعض الصحابة من بينهم سلمان الفارسي و أويس القرني و فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

وهناك أوجه شبه بين المعجزة و الكرامة، اذ يشتر كان بعلاقتهما بالغيب، وكونها اموراً ًخارقة للمألوف، و ان صاحب الكرامة و صاحب المعجزة كلاهما أثيران لدي الله عزوجل و مقرّبان اليه سبحانه..

والي جانب هذا التشابه توجد فروق بين المعجزات و الكرامات منها: ان العبادة الله هي الملاك في حصول الكرامات لدي بعض عباداللّه الذين سلكوا درب التكامل و الخلوص لله عزوجل بينما المعجزة أصل ذاتي في نفس النبي و الإمام بالرغم من التشابه العام بين صاحب الكرامة و صاحب المعجزة في قربهما من الله سبحانه ولكن الفرق واضح بين من حصل على الكرامة من خلال خلوصه و عبادته لله و بين من اختاره الله اساساً و اصطفاه هادياً ً للناس جميعاً ً.

ان المعجزة تقترن بالتحدي دائماً ً فالمعجزات ماهي إلا استجابة ايجابية للتحدّي فهي انتصار للحق و الحقيقة، بينما تظلّ الكرامة هبات إلهية تكريماً لعباده من الناس5.

_____

1. القران الكريم: سورة الأعراف (7)، الآية: 116، الصفحة: 164.
2. القران الكريم: سورة طه (20)، الآية: 66، الصفحة: 316.
3. القران الكريم: سورة طه (20)، الآية: 69، الصفحة: 316.
4. القران الكريم: سورة آل عمران (3)، الآية: 37، الصفحة: 54.
5. من كتاب دراسة عامة في الامامة.